

## أساليب "عبيد الزاكاني"، الساخرة وفق "نظرية تفريغ الكبت" الفرويديّة

صادق كريم يحيى\*

### الملخص

قد تمّ في هذا البحث تصنيف كلّ أساليب عبيد الساخرة، فاتّضح أنّ جلّها يستقيم في مجموعتين لا غير من أدبياته الساخرة: الأولى، أدبيات ساخرة تنطوي على مضامين كاشفة للمستور، سياسية خارقة للناموس أو اجتماعية طوباوية؛ وهي كلها محظورة، مسكوت عنها في أغلب الأحيان، لا بل محرّمة في أحيان أخرى، ولا يمكن المساس بها أو الدنو منها بالمرّة؛ والثانية، مزاحات أو ملاطفات أو فلنقل هزليات أو بالأحرى فكاهات ترتبط بعاهات جسدية ونقائص جسمية. والأولى، تنحصر - كما مرّ - في موضوعات لا يمكن البوح بها أو حتى التلميح إليها. وهي إمّا أن تكون محظورات جنسيّة، وإمّا محرّمات دينية، أو محاذير قانونية أو عرفية، أو خطوط حمراء سياسية. والثانية، فهي تمثّل موضوعات تناول عاهات بشرية، ونقائص آدمية، ترتبط بنقص ظاهري مادّي، أو نقص نفسى أخلاقي سلوكي، أو نقص عقلي؛ وهي فكاهات تنطرق إلى نواقص جسدية وعاهات جسميّة، تنطوي في مجاميع من فكاهات ثقافيّة وأخلاقيّة، وتنطوي فيها أحياناً فكاهات تتعلق بعبوات إنسانية وجهالات بشرية وعنجهيات آدمية. وفي هذه الدراسة، ينهض السعي للبحث عن الدواعى النفسية وحوافزها المحرّكة التي تمكّن هذه الأدبيات من دغدغة المشاعر أو الإضحاح، ضحكاً دفيناً أليماً كان أو سافراً عذباً؛ وذلك بتسليط الضوء على مختلف مواضع عبّيد الفكاهة؛ وتتنمى الموضوعات الأولى من فكاهات عبّيد إلى المجموعة الأولى من تصنيف فرويد في نظريته الكبتية ورؤيتها التفرّغية والتحريرية؛ أي الفكاهات التي تسبب الإضحاح عن طريق التنفيس عن المشاعر المكبوتة وتفرّغها. وترتبط الموضوعات الثانية منها بمجموعة فرويد الثانية من تصنيفه في تلك النظرية؛ أي التقليد البحث وغير المتقن والمحترف للحركات والقوانين الطبيعيّة والأعراف الاجتماعية، مما يكون مدعاة للإضحاح، وذلك بسبب تحريره لطاقات فكرية أو ذهنية مكنونة، وتحفيزه لإطلاقها وإخراجها للعلن. أمّا المجموعة الثالثة من تصنيف فرويد، فهي لا تتعلق بموضوع بعينه، بل تتعلق بإحدى التقنيّات، ألا وهي تقنية المباغنة التي قد أفاد منها عبّيد في صياغة فكاهاته وسخرياته؛ إذ أنّ أية فكاهة، فسى أي موضوع كانت، إذا ما وظّفت فيها تقنية المباغنة، فهي تثير الضحك، لكونها تدفع بالفكر أو الذهن ليكون على مشارف مفارقة تنفيس عن شعورين مختلفين في آن واحد.

الكلمات الدليلية: عبّيد، فرويد، فكاهات محظورة، فكاهات النقائص، تقنية المباغنة، نظرية الكبت.

\*. أستاذ مشارك في مركز البحوث بجامعة سوران، كوردستان، العراق

SadeghKarim65@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٨/١١/٢٥ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٨/٧/٨ش

## المقدمة

هناك نظريات مختلفة حول دواعي كون شيء ما مدعاة للضحك، وعن أسبابه التي تجعل شيء ما مُضحكاً للآخرين، وعن حوافره التي تجعله قادراً علي الإضحاك. وإذا ما شئنا الإجابة على هذا التساؤل، وهو: لماذا يثير الأدب الساخر أو بالأحرى، لماذا تثير الفكاهات الضحك؟ والرد علي هذا الاستفسار، وهو: ما هي الموضوعات التي يوظفها الأدب الساخر لتكون أكثر إثارة للضحك؟ وعليهما، فإنّ علينا، ومنذ البدء، أن نعرّف مفهوم الضحك، لنعي ماهيته وأسبابه ودواعيه؟

وسنعرّفه فيما يلي لغوياً معجمياً، ثمّ نعالجه فيما بعد اصطلاحياً مفهوماً:

فقد ورد في الموسوعة اللغوية لدهخدا تعريف للضحك، جاء فيه: أنه تلك الحالة التي تعترى الإنسان، فتطرء البشاشة علي ملامحه أو الفرحة علي محياه، جرّاء غبطة أو مرح وفرح أو سرور وحبور يعتريه، وتتحرّك من خلالها الشفتان والفم. وهي حالة تقترن في الغالب بصوت خاص يواكب الابتسامة أو الضحكة، فيعلو في الثانية وينخفض أو يندم في الأولى (ظ: دهخدا، ١٩٦٥، مدخل: حَنَدَه [بهاء غير ملفوظة]، بتصرّف). كما ورد تعريفه في لسان العرب: «هو انبساط الوجه و بُدُوُّ الأسنان من السرور، والتَّبَسُّمُ مبادئُ الضَّحِكِ.» (ابن منظور، ٢٠٠٤، مادة: ضحك)

ونجد في كتاب تاريخ طنز وشوخ طبعي [=تاريخ الفكاهة والطبع المزاحي (السخرية والتفكّه وخفة الظلّ والدم)] بحثاً مفصلاً نسبياً حول ماهية الضحك، وسنذكر منه ما يفى بتبيان مفهومه ودواعي حدوثه، وهو أنه: لا نعرف على وجه الدقة ماهية الضحك. وقد ذهب أرسطو إلى أن "الضحك هو نتيجة التعجّب"، ولكن هذا التعريف نفسه يزيد من إبهام الموضوع وغموضه؛ إذ يمكن أن يتمّ التساؤل عن أنه: لماذا يضحك الإنسان جرّاء حالة التعجّب، ولكنه لا يبكي بسببها؟ وقد وردت نظريات عديدة حول ماهية الشيء المضحك، إلا أن أياً منها لم يلق الأجماع أو القبول العام له، وإن كان لكلّ منها دوره في إمطة اللثام عن جزء من حقيقته. وعلى سبيل المثال، فقد قال أرسطو أيضاً: "إنّ من مدعاة الضحك هو الخطأ غير الجسيم الذي لا يبرح بالفرد، أو النقص الذي لا يأتي علي الفرد ولا يحطّمه". وقد ذهب هوبز إلى: "أنّ الضحك يتمخض عن الشعور

والإحساس المفاجيء بالتفوق". وقد قال كَانت: "إنَّ من مدعاة الضحك، هي تلك الحالة من الإحساس المفاجئ بالوقوع تحت وطأة ما، فينقبض معها الصدر، ويضيق بها، فتتحوّل فجأةً إلى انفعال وهيجان". كما قال شوبنهاور: "إنَّ كلَّ تعبير ينطوى علي تناقض، ويفتقد الانسجام، فهو مثير للضحك ودافع إليه". وعليه، يمكن القول استناداً إلى ما ورد آنفاً: إنَّ العناصر الرئيسة لإثارة الضحك تتمثل في الإدراك المفاجيء للتناقض القائم بين حالة الأشياء علي ما هي عليه وبين ما ينبغي أن تكون عليه أو كما نتوَّع أو نفكّر أنّها يجب أن تكون عليه. (نقلًا عن: حلبى، ١٩٩٨: ٥٨-٥٧، بتصرف وتلخيص) ولهنرى برجسون رسالة في الضحك بنفس المسمى؛ وفيها يذهب إلى أنّ الضَّحْكَ هو صفة بشرية تماماً، وأنّه نتيجة حدث اجتماعى وحصيلة له. كما يرى أيضاً أنّ الهزل هو سلوك بشرى محض. وهكذا يقول: إن كان هناك فى الطبيعة أو فى سلوك الحيوان شىء يدفعا إلى الضحك، فسببه مشابهته لسلوك الإنسان. وأنّ الإنسان، بدوره، هو حيوان يضحك؛ وفى نفس الوقت، هو أيضاً حيوان يضحك. وكذلك يقول: إنَّ حيواناً مثل القرد، إن كانت لديه القدرة على الإضحاك، فالسبب هو الشبه الذى يجعل سلوكه قريباً من سلوك الإنسان. ويرى أيضاً أنّ ضحكنا هو دوماً ضحك جماعى.... وأنّ للضحك رابطة خفية فى خلفيته الذهنية المشتركة وفى تفاهمه ومشاركته مع الضاحكين الآخرين الحقيقيين أو الخياليين. وأنّه يجب أن يستجيب الضحك لبعض متطلبات الحياة ومقتضياتها المشتركة. وهكذا يجب أن يكون للضحك معنى اجتماعى (برجسون، ٢٠٠٠: ٢٤-٢٢)؛ ولذا، يكتسب الضحك علاقة وثيقة للغاية مع الثقافة علي وجه الخصوص. كما يرى برجسون أنّ أصل فلسفة الضحك وأسها يكمن فى عدم المرونة والجموح وعدم الانصياع. (المصدر نفسه: ٢٤)

وعليه، فالاستنتاج الذى يمكن أن يستنبط من نظريته، هو أنّ عدمية المرونة تكون: إمّا، أمام قوانين الطبيعة والجبلّة والخلقة، من مثل: القبح الشكلى الملموس أو النقص المادى (الفيزيائى) المحسوس، والذى يتمّ تقليده بحركات تمثيلية وتصرفات تقليدية ساخرة؛ وإمّا، إزاء القوانين الاجتماعيّة أو الأعراف الثقافيّة، حيث يضحى التندّر بها أو الضَّحْكَ عليها نوعاً من الانتقاد أو التهكّم أو النقد الاجتماعى أو النقد الثقافى؛ وإمّا

أخيراً، إزاء الماهية الذاتية للطبيعة والجبلية الآدمية أو البعد الذاتي للمجتمع، فتنعكس في شكل نقد فلسفي ذاتي ساخر ونفسي ذاهل في نفس الآن.

### أسئلة البحث

ونسعى في هذا البحث، أولاً: إلى دراسة وتحليل فكاهات عُبيد، والتعريف بأنواع موضوعاته الفكاهية والهزلية، وثانياً: إلى تسليط الضوء على السبب النفسي للإضحاح وفق نظرية التنفيس أو التفريغ الفرويدية؛ وكلاهما يشكلان إشكالية البحث التي تدفع إلى هذين السؤالين اللذين لا بُدَّ من طرحهما لإمطة اللثام عنها، وهما:

١. ماهى المجموعات الموضوعية التي يمكن أن تنقسم إليها فكاهات عُبيد وفق رؤيتها الموضوعية؟

٢. كيف يمكن تبيين ماهية الإضحاح في فكاهات عُبيد على ضوء نظرية التنفيس لدى فرويد؟

### منهج البحث

والمنهج الذي اعتمد في هذا البحث، هو منهج توصيفي - تحليلي، وهدفه المراد منه، هو تحديد أنواع موضوعات فكاهات عُبيد، ومعرفة الأسباب النفسية التي تمكنها من الإضحاح.

وبنظرة كلية عامة إلى المجموعات النظرية الخاصة بالضحك والإضحاح، قد لوحظ انضواؤها على أربع مجموعات، هي:

الأولى: نظرية سوء سمعة الضحك

وفيها، قد تعامل أفلاطون الذي يُعدُّ أكثر النقاد تأثيراً، مع هذه الظاهرة باعتبارها إثارة تسلب الإنسان حلمه العقلاني، وتفقدته تحكّمه في نفسه. كما وعظ أبيقورس الإنسان، وحذّره من مغبة الضحك بصوت تُضم مع الآذان، والآ يتماذي فيه، والآ يكون منفلتاً بشكل لا يمكنه معه كبه. وقد تعزّز وتزايد الإنكار الفلسفي للضحك في منتصف القرن السابع عشر للميلاد، ذاك الإنكار الذي أكد وأصرّ عليه كلٌّ من: تامس

هوبز، ورينيه ديكارت. (ماريال، ٢٠١٤م: ١٧-١٤)

الثانية: نظرية التكبر والاستعلاء على الآخر (الترجسية والبُرج عاجية) وفيها، يكون التفسير البسيط لها، هو أنّ مصدر الضحك لدي الشخص، ما هو في الحقيقة إلا شعور ذاك الشخص وإحساسه بالتفوق على الآخرين، وهو بالأحري يعدُّ تبياناً لماضيه، وتفسيراً لما يجري فيه. ومن المدافعين المعاصرين عن هذه النظرية، هو: روجر إسكروتن الذي يعدُّ المزاح التدمير المقترن بالاهتمام الشخصي أو بالشئ المتعلّق بشخص ما. وهو يؤكد علي أنّ الناس إن أرادوا أن لا يكونوا عرضة للضحك ومدعاة له، فإنّ سببه، ودون شك، هو أنّ الضحك، في حقيقته، يهبط بموضوعه ويتنزّل به في نظر من يبادر للضحك عليه. (المصدر نفسه: ٢٣)

الثالثة: نظرية التنفيس (التفريغ أو الإطلاق والتحرير)

وفيها، يلاحظ أنّ نظرية التنفيس هي تفسير هيدروليكي؛ يعمل الضحك، على أساسه، في الجهاز العصبي عمل صمام الأمان في مرجل البخار. وقد تمّ إيضاح هذه النظرية بشكل إجمالي في مقالة اللورد شافستبري تحت عنوان: "بحث في حرية الطبع المرح والمزاح" عام ١٧٠٩م. وقد اكتسبت فيما بعد شكلاً علمياً أكثر، وذلك استناداً إلى هذا التصوّر الذي يشير إلى أنّ ما يقوم به الضحك هو اطلاق الطاقة العصبية المكبوتة. (المصدر نفسه: ٢٨) وهنا نوّكد علي أنّ فرويد هو من أكبر المنظرين لنظرية التنفيس هذه أو بالأحري نظرية الإطلاق والتفريغ هذه.

الرابعة: نظرية التناقض (اللانسجامية)

وفيها، تذهب نظرية التناقض هذه إلى أنّ مدعاة الضحك هو إدراك الضاحك لشيء متناقض تناقضاً ينقض أنماطنا الفكرية، ولا ينسجم وتوقعاتنا المنتظرة. وقد تبني هذا الاتجاه، كلٌّ من: جيمس بيتي، وعمانوئيل كانت، وآرثور شوبنهاور، وسورن كيير كغور، والكثير من الفلاسفة وعلماء النفس المتأخرين. (المصدر نفسه: ٣٧)

#### خلفية البحث

وفيما يتعلّق بفكاهات عبید ومجاميعه الأدبية، يمكننا الإشارة إلى ما يلي من بحوث

ودراسات، ومنها: تاريخ طنز وشوخ طبعي [تاريخ الفكاهة والطبع المزاحي] لعلی أصغر حلبی، وقد طبعته دار نشر البهبهانی. وكذلك: تصحيح وتوضيح آثار عبید زاکانی [تحقیق و تبیین آثار عبید الزاکانی] للمؤلف السابق نفسه؛ وهكذا مقدماته التي كتبها لكل من مجاميعها، ومن جملتها: شرح وتوضيح رسالة دلگشا [شرح وتوضيح رسالة دلگشا]، والتعريفات، وصد بند [مئة موعظة]، ونوادير الأمثال، وقد نشرت في دار نشر أساطير. وأيضاً تحقيق وتبيين أخلاق الأشراف للزاکانی، تحقيق المؤلف والمحقق السابق نفسه. وهكذا: زاکانی نامه [رسالة الزاکانی]، للمؤلف السابق نفسه، وقد نشرت في دار نشر زوار. وأيضاً عبید الزاکانی للمؤلف نفسه، دار نشر طرح نو. وکلیات عبید الزاکانی، تحقيق برويز أتابکی، وقد نشرت في دار نشر طهران مصور. وکلیات عبید الزاکانی، تحقيق عباس إقبال آشتیانی، وقد نشرتها دار نشر شهرزاد. وسنجش طنز عبید زاکانی با راغب اصفهانی، ويافتن آبشخورهاي طنز عبید وتحليل تطبيقي أنها [الموازنة بين فكاهة عبید الزاکانی والراغب الأصفهانی، واكتناه مناهل فكاهة عبید ومصادرها، والدراسة المقارنة بينهما]، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة لرودايه شاه حسینی، جامعة العلامة الطباطبائی، كانون الثاني ٢٠٠٩م.

### النظرية الفرويدية

وقبل الإجابة على سؤالي البحث المطروحين آنفاً، آثرنا إلقاء الضوء أولاً على نظرية التنفيس أو التفريغ الفرويدية التي تفيد باختصار: أن المزاج يخلق اللذة أو السرور، وذلك بالقبول العابر لحظ النفس الحاصل من أمنية خفية أو محظورة؛ ويخفف بدوره في نفس الوقت من الرعب الذي يُظهره في العادة إنجاز أمنية ما، مما يكون مدعاة لإفراغ التشنّج أو التوتر الداخلي من خلال التخفيف من دافع محظور، وذلك يجعله مبتدلاً أو عامياً باعتباره: "نكتة" أو "رسوماً متحركة". والتفريغ المفاجيء، يتمخض عادة عن توتر عجيب من جانب، ومحّبب في نفس الوقت من جانب آخر؛ في حين أن الجذر غير الواعي لتوتر الفرد، يغيّر ظاهره بشكل ما في "النكتة" التي هي ليست محزنة في العادة. (ايسنيك وزملاؤه، ١٩٧٢م: ٥٨٠/٢)

ويقوم فرويد بتحليل ثلاث حالات من الضحك والمزاح (der witz). وفي كل الحالات الثلاث، يقوم الضحك بتفريغ الطاقة العصبية، تلك الطاقة العصبية التي تجمعت لفعل نفسى، ولكنها تصبح زائدة عندما يُترك ذلك العمل أو الفعل. وفي النوع الأول: (der witz)، فإنّ تلك الطاقة الزائدة هي مبدئياً الطاقة المستخدمة لكبت الأحاسيس والمشاعر. وفي النوع الثانى، تكون الطاقة المستخدمة للتفكير. وفي النوع الثالث، تكون طاقة الإحساس بالإنثارات. ويذكر فرويد أنّ فى النوع الأول من الطاقة النفسية المحرّرة، طاقةً كانت لتكبت الإنثارات التي يعبر عنها الشخص على شكل ضحك إن لم تكن قد فرّغت.

وحسب نظرية فرويد، فإنّ الإنثارات التي تُكبت أكثر من غيرها، هي: الرغبة الجنسية والشعور بالعداء. وبناء على ذلك، فإنّ معظم النُكت والأقوال تدل على ظرافة الطبع حول الرغبة الجنسية أو العداء أو كليهما. ونحن نجتاز رقابتنا الداخلية عند النكتة الجنسية أو سماعها ونجسّد (اللويدو) أو غريزتنا الجنسية. وعلى هذه الشاكلة نجسّد العداء الذى نكتبته عادةً، فى حكاية النكتة أو سماعها والتي نستحقر فيها الفرد أو الجماعة التي لا نكنّ الحبّ لها. وفى كلتا الحالتين، تتم إضافة الطاقة النفسية التي تستخدم بشكل طبيعى للكبت، ويتم التنفيس عنها فى الضحك. (ماريال، ٢٠١٤م: ٣١)

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن النُكت والهزل الجنسى فى آثار عبيد من النوع الأول الذى يفرّغ فى الحقيقة الطاقة المكبوتة للرغبة الجنسية بالشكل المطلوب. كما أن الفكاهات النقدية والانتقادات اللاذعة فى كل المواضيع تنضوى فى هذا النوع الأول لأنها تحرّر الرغبة المكبوتة أو الغضب نفسه. وفيما يتعلّق بذلك القسم الذى تحرّر فيه الرغبة الجنسية والعداء بشكل متزامن، تمكن الإشارة إلى الفكاهات والنُكت النقدية -الجنسية-. وهى الفكاهات والانتقادات اللاذعة التى تخلط الملاحظة النقدية بقضية جنسية ما بهدف نقد وضع ما أو أشخاص معيّنين كأن يتحدّث عن التسيّب و التهتك الجنسى لأشخاص ما بلغة الفكاهة والتهكّم علماً أن هؤلاء الأشخاص يمثّلون الأخلاق فى المجتمع.

إن حالة (der witz) الثانية للضحك تتضمّن من وجهة نظر فرويد صورة مشابهة

من تفريغ الطاقة تتجمع فيها الطاقة ولكننا نكتشف أنها غير ضرورية. وهذه الطاقة هنا، طاقة تتركس عادة للتفكير. ومن أمثلتها الضحك بسبب السلوكيات العفوية وغير المتقنة للمهرج. ويرى فرويد أن إعادة عرضنا الذهني لحركات المهرج العفوية، بحاجة إلى طاقة أكثر من الطاقة التي نستهلکها لإعادة استعراض حركاتنا الهادئة والسلسلة نحن أنفسنا في القيام بنفس ذلك العمل. وضحكنا على المهرج هو تفريغ تلك الطاقة الزائدة. (نفس المصدر: ٣٢)

ويمكننا أن نضع نكات عبيد البسيطة و مطايباته (ملاطفاًته) ضمن هذه المجموعة. والسلوكيات التي تظهر في آثاره من أعداء أبطاله (الأشخاص الجهلة، والقييحين، والعديبي الأخلاق وغيرهم) تعتبر في الحقيقة تقليداً أحق للقوانين الطبيعية والاجتماعية وهي تشبه الحركات العفوية لذلك المهرج نفسه الذي يقلد الحركات الطبيعية الهادئة والسلسلة وحينما تتركس الطاقة للتفكير في العثور على وجوه الشبه أو الاختلاف بينها، يحدث الضحك.

ويحلل فرويد حالة (der witz) الثالثة للضحك بأن النوع الثالث لا يحدث إلا عندما يكون هناك وضع يقتضى منا أن نثار حسب العادات السائدة كى نحزر شعورنا بالاضطراب. في حين أن هناك في تلك الأثناء دوافع تؤثر فينا وتقمع ذلك الشعور في مسار تكوّن... وتحدث لذة المزاح على حساب تفريغ الشعور الذي لا يحدث. وتنجم هذه اللذة من نوع من الاقتصاد في استهلاك الشعور. ومثال فرويد هو قصة لـ (مارك توين) ينفجر فيها الديناميت فجأة وقبل الأوان عندما كان أخوه منشغلاً بشق الطريق ويقذف به إلى السماء. وحينما سقط الرجل أرضاً كان المسكين بعيداً عن موقع عمله، ففقد نصف أجره اليومي بسبب غيابه عن موقع العمل. وتوضيح فرويد لضحكنا بسبب هذه القصة هو أننا نطلق الطاقة النفسية التي كنا جمعناها للشعور بالأسف على شقيق توين - الطاقة التي تصبح زائدة عندما نسمع القسم العجيب الأخير - وعلى أثر هذا الفهم، يصبح استهلاك الطاقة للشعور بالأسف الذي كان قد أعد من قبل، عشيماً فنقوم بتفريغه عن طريق الضحك. (نفس المصدر: ٣٣) ومع أخذ هذه المجموعات الثلاث بعين الاعتبار يمكن القول في النهاية إن الطاقة التي تستهلك في الضحك، هي طاقة

الإحساس بالإثارات، و طاقة كبتها أو طاقة التفكير المكّدس الذى هو بحاجة إلى التفريغ. (نفس المصدر: ٣٤)

والنوع الثالث الذى يتحدّث عنه فرويد فى مجال فكاهات عبيد، لا يرتبط بالموضوع بل بإحدى تقنيّات صياغة الفكاهة. أى تقنية المباغنة. و تتبّع الذهن لشيء ما هو عامل الضحك. ثم يواجه فجأة شيئاً آخر فيقف بالتالى بين شعورين مختلفين، فيترك الشعور الأول ويختار الشعور الثانى، وفى الحقيقة فإن استخدمت تقنيّة المباغنة فإنها تنضوى فى المجموعة الثالثة من الضحك فى فكاهات عبيد أياً كان موضوعها. وقد تنضوى من الناحية الموضوعيّة فى المجموعتين السابقتين.

### فكاهات عبيد المتعلقة بتفريغ الشعور المكبوت

الضحك - مهما كان - سببه حدوث حالات طبيعيّة فى الإنسان وعلى هذا الأساس فإن لها أنواعاً تمكن الإشارة إلى أهمها أى الضحك بسبب الفرح، الضحك بسبب الخجل والحياء، الضحك بسبب الغضب والحزن وما إلى ذلك. وفى الحقيقة فإن الفكاهات والمضحكات تقسّم على هذه الشاكلة أيضاً. أى قصة أو شعر أو موقف يخلق الضحك لأنه يُحدِث إحدى هذه الحالات أو يصوّر محيطاً ما يدل على مثل هذه الحالات. وفكاهات عبيد على هذه الشاكلة أيضاً. ولكن ما هى الموضوعات التى تخلق مثل هذه الحالات لدى قارئ آثار عبيد والتى تؤدّى فى النهاية إلى ردة الفعل المتمثلة فى الضحك؟

واستناداً إلى ما طرح من نظرية فرويد، تمكن الإجابة بكلمة واحدة وهى المحظورات. فأبرز تبعات فكاهات عبيد تتعلق بالموضوعات الممنوعة و تنضوى فى المجموعة الأولى من نظرية فرويد. ومعظم فكاهات عبيد هى من نوع ردود الفعل على الممنوعات والمحظورات. وهذه الممنوعات إما إنها مفروضة من الخارج والمجتمع على الإنسان أو من داخله وعقله غير الواعى. وقد يعلم المخاطب ببعض من هذه المحظورات ويعيه و يضحك على البعض الآخر من دون مقدّمة وتفكير و بشكل لا إرادى. وتلك الطاقة المكبوتة التى يتحدّث عنها فرويد تظهر على أثر ممنوعة الموضوع. وعلى هذا يمكن

الاستنباط على أساس نظرية فرويد أن غالبية فكاهات عبيد هي نوع من ردود الفعل إزاء المحظورات. ولكن نوع ردة الفعل على هذه المحظورات مختلف. أى يتم منع العوامل التى تؤدى إلى تحوّل موضوع ما إلى موضوع مضحك حيث يتسبب فى إحداث الضحك من باب الفرح والتعجب والخوف والغضب وحالات الإنسان الأخرى. ومن أهم عوامل الضحك ودوافعه هذه بعض القضايا مثل:

### المحظورات الجنسية

الفكاهة هي ردة فعل إزاء المحظورات، وإذا استحظرنا نظرية فرويد فيما يتعلّق بكبت الشعور باللذة الممنوعة، ندرك أن التقرب من المحظورات يقترن بردة فعل من الضحك مصدره الخوف أو السرور وراحة البال. وتتعلّق أكبر فكاهات عبيد الممنوعة بالمحظورات وخاصة المحظورات الجنسية التى تخلق الفكاهات الجنسية. وسنلقى نظرة أخرى على تعريف فرويد للضحك. وبعبارة واحدة فإن حصيلته تعريف فرويد هي كسر حاجز محظورات اللذة، وفرويد يرى أن البشر ينفرون ويتهرّبون إلى حد كبير من القضايا التى يميلون إليها كثيراً. والفكاهة تزيل هذا التناقض إلى حد ما فيحدث الضحك وانبساط الخاطر فى النهاية على أثر فكّ هذه العقدة.

وللمحظورات أنواع أهمها: المحظورات الجنسية، والمحظورات العقيدية، والمحظورات الثقافية والأخلاقية وأخيراً المحظورات القانونية والسياسية. وبالطبع يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن فصل هذه المحظورات عن بعضها البعض بشكل كامل غير ممكن. فربما حدث حظر قانونى بسبب حظر عقيدى. وتعتبر الفكاهات الجنسية من أهم ردود الفعل إزاء المحظورات الغريزية. فالموضوعات الغريزية هي موضوعات ممنوعة لأنها ذات علاقة بالمحرّمات فى لاوعى الإنسان والفكاهة كما مرّ نوعاً من الرؤية وردود الفعل إزاء المواضيع الممنوعة. والفكاهات حول الجنس والأعضاء الجنسية، والعلاقات بين المرأة والرجل وغير ذلك هي بالضبط ردود فعل غير إرادية فى مقابل هذه الممنوعات.

### فكاهات عبيد الجنسية

تمثل الفكاهات الجنسية واحدة من أبرز الفكاهات ذات التأثير الأكبر في مؤلفات عبيد ومن أهم موضوعاتها، العلاقات بين النساء والرجال بنظرة فكاهية وتهكمية بطبيعة الحال. وهذا النوع من فكاهات عبيد والذي يعتبر من أهم مواضيع الفكاهات المحظورة، ينضوى في المجموعة الأولى من تقسيم فرويد وسبب حدوث الضحك ناجم عن هذا المحظر لطرح هذه المجموعة من فكاهات عبيد، ونحن مضطرون إلى عدم التطرق إليها والتهرّب منها و حسبنا هنا أن نحيل القراء إلى نموذج مختصر هو: (عبيد، ٢٠٠٤: ١٧٨ و ١٢٣ و ١٤٣).

وقد تكون من الحالات المتعلقة بالعلاقات بين النساء والرجال من الفكاهات الجنسية والفكاهات النقدية في ذات الوقت، ومهما كانت المجموعة التي تنتمي إليها، فإنها تنضوى ضمن النوع الأول من نظرية فرويد لأنها تحرّر وتطلق الشعور بالغضب والعداء، ومنها الفكاهات المتعلقة بالزواج والزوجة والزوج.

والأعمال الأدبية حافلة بقصص الحب المتهبة والتغزل بالحبيبة والشغف بها وعشقتها ولكننا لا نجد شيئاً فيما يتعلّق بالإشادة بالشريك (الزوج أو الزوجة) وعشقه إلا فيما ندر. وتنتهي القصص دوماً بتحقيق العاشق والمعشوق لأمنيتهما في الوصال. ولكن ليس هناك من أحد يخبرنا عن الأحداث بعد الزواج. وقد كتب بايولو كويليو قائلاً:

«في اللحظة الأخيرة وعندما تدخل المرأة الطائرة، يصل الرجل فجأة وقد سيطر اليأس عليه وبعيدها إلى عالم الحبّ و تحت الأنظار الفرحة للمضيفين و قائد الطائرة وقبل كتابة كلمة (النهاية) على شاشة السينما. ويكتشف المتفرّجون مباشرة أنهما سيعيشان فرحين وسوية إلى الأبد. و لكن الفيلم لا يخبرنا أبداً ماذا سيحدث بعد ذلك: الزواج، الطبخ، الأولاد، العلاقات العاطفية تكون قلقة أكثر من أى وقت مضى، اكتشاف أولى علامات الجفاء، التوافق، اكتشاف العلامة الثانية، اتخاذ القرار، التهديد بالانفصال، عدم الاهتمام بسبب الشعور بالأمن، ظهور العلامة الثالثة، الصمت، التظاهر بعدم العلم، الأوضاع خطيرة للغاية في هذه المرّة فقد يقول كلّ منهما للآخر: لا أريدك. كلاً، هذه الأشياء لا يدور الحديث عنها في الأفلام، بل تُكتَب على شاشة السينما كلمة (النهاية) قبل بداية الحياة في العالم الحقيقي.» (كويليو، ٢٠٠٦م: ٩٨)

إن المرأة هي بمنزلة الوجود بالنسبة إلى الرجل وعندما يتزوَّج الرجل من المرأة فإنه يكون بذلك قد استولى على الوجود. والمرأة لها دوماً جانبان للرجل؛ الجانب الحيوى والمتحرّك الذى يدفع الرجل إلى الإثارة مع القلق والترقب وهذه بالضبط هي بداية تحرّك الرجل نحو الزواج من المرأة وكأنه يضع قدمه على أرض مجهولة وغير مكتشفة. ودخول أرض مجهولة هو دوماً غامض ومخيف ومحفوف بالمخاطر وجذاب ومشوّق فى نفس الوقت. ولكن عندما تكون هذه الأرض معروفة تماماً ومسيطرّاً عليها فإنها ما من شىء آخر سوى أرض معروفة. الأرض التي يجب على الرجل أن يسعى ويبدل جهده من أجل الحفاظ عليها. وهذا يعنى التوقّف. أى العمل والنشاط المتواصل واليومي. أى بذر البذور وانتظار الفصول والأيام المتكرّرة. وهذه الوقفة هي فخ من المرأة تأسر به الرجل.

والجانب الحيوى والمتحرّك هو نفس الجانب المثير والغرامى للمرأة. أى جانب إضمار العشق لها و جانب التوقّف هو جانب كونها شريكاً. والشريك قد يكون بشكل لإرادى بالنسبة إلى الرجل وللأسباب المذكورة، انعكاساً للحياة اليومية والعادة والعمل الرتيب. والعادة تتناقض فى ذاتها مع الإثارة والغموض والأسرار (الحيوية والجانب الغرامى) وفى مثل هذه الحالات تأتى المرأة -باعتبارها شريكاً- بالتعب والروتين إلى ذهن الرجل. ويبلغ الأمر حداً بحيث يواجه الرجل فى ذاته كائناً أوقع به فى فحه بالخداع على حد زعمه و ورطه فى العمل والحياة اليومية الرتيبة. ولذلك فإن الرجل فى ذاته يشعر بالنفور من المرأة فى ذات الوقت الذى يريد لها فيه بشدة؛ النفور من الشخص الذى أسره هذا الخداع. وهو يعبر عن هذا النفور بالجفاء والفتور إزاء الشريك والزواج من أشياء أخرى مثل العمل وقراءة الصحف وغير ذلك. فيما تتخذ المرأة فى المقابل موقف عدم الانسجام والشكوى والعتاب ولكنها تستلم هي أيضاً فى النهاية لتقضى حياتها بجفاء فى المقابل والتزوَّج من حبّ الأولاد والتعلّق بهم. (شاه حسيني، ٢٠٠٩م: ٢٠٢)

وهذا الجفاء المتبادل قد يعبر عن نفسه بين الحين والآخر من خلال المزاح والمواقف الهزلية أى حينما يجد اللاوعى مجالاً للظهور. فكاهات حول الاختلاف بين الزوجة

والزواج، نكات حول تورط الرجل بمصيبة الزواج، مواقف هزلية تحدث عند مراسيم الزفاف مع العريس حول توديعه للسعادة والراحة ومواساته من قبل الرجال المتزوجين ونصيحة العريس للشباب العزاب بعدم ارتكاب مثل هذا الخطأ مثله، كل ذلك يدل على هذا الرعب والمشكلة.

ونحن نرى في أحد الأفلام الكوميديّة، أن البطل الأمريكي للقصة منشغل في مشاهدة عرض لخيال المآة باللغة الفرنسيّة وكان موضوعه يدور حول رجل وامرأة يتبادلان الضرب بالعصى. فيطلب من صديقه أن يترجم له القصة فيقول صديقه إنهما زوج وزوجته. فيقول الرجل الأمريكي: «لقد فهمت ذلك بنفسى. أخبرنى عن بقيّة القصة!»

### كيف هي العلاقات بين الرجل والمرأة في آثار عبيد؟

المرأة والرجل يبدوان في آثار عبيد متعطشان لدم بعضهما البعض؛ والزواج مذموم وأمر غير حميد؛ ولا نلاحظ أى تعامل عاطفى؛ وقد قامت العلاقات على أساس العقد والواجبات؛ ولا يوجد أحد سعيد. والضحك الذى يصدر من المتلقى بعد قراءته لهذه المضامين، ينضوى تحت المجموعة الأولى من تقسيم فرويد. الضحك الذى مصدره تفريغ الشعور بالغضب على أثر الخصام. وسنذكر هنا بعض النماذج:

«رُسمت فى قصر بركان حاكم الخنتائيين ثلاثة صور بين الصور الأخرى: إحداها تمثّل شخصاً جالساً وقد استغرق فى التفكير؛ والأخرى صورة رجل يضرب رأسه بيده، و ينتفح لحيته باليد الأخرى؛ والآخر يرقص. وقد كتب فوق (الصورة الأولى) أن هذا الشخص يفكر فى أنه هل يتزوج أم لا؛ وكتب تحت الثانى أن هذا الرجل طلب يد امرأة ثم ندم. وكتب تحت الثالث أن هذا الرجل طلق امرأته وفرغ من هذه المصيبة!» (عبيد، ٢٠٠٤م: ١٧٣)

«كان لمجد همگر امرأة خلال سفره. ثم إنه كان ذات يوم جالساً فى مجلس. فسارع إليه غلامه راكضاً وقال له: سيدي لقد نزلت الخاتون فى البيت. فقال: ليت الدار هى التى نزلت على الخاتون!» (نفس المصدر: ١٤٣)

- «كان مجد الدين يتشاجر مع زوجته، وكانت عجوزاً للغاية وقبيحة المنظر، فقالت: إن السيّد العمدة لا يفعل ما تفعله، فلقد كان يصل الليل بالنهار قبلي وقبلك. فقال: لا تكلفى نفسك ياسيّدتى لقد كان قبلي، ولكنه لم يكن قبلك!» (نفس المصدر: ٩٤)
- المجردّ (الأعزب): الشخص الذى يضحك على ذفن الدنيا.
  - الشقى: العمدة.
  - الباطل: عمر العمدة.
  - الضايغ: دهره.
  - التلف: ماله.
  - الپريشان (القلق والمضطرب): خاطره.
  - التلخ (المّر): عيشه.
  - الماتمّسرا (بيت الماتمّ): بيته.
  - المعيل: الميتلى.
  - ندامته و الافلاس: نتيجة ذلك.
  - المذكرّ السماعى: الذى يعمل بنصيحة النساء.
  - الفرج بعد الشده: لفظ الطلاق ثلاث مرّات.
  - القوز بالاى قوز (الحدبة فوق الحدبة): الحمّاة.
  - مخ الحمّار: الطعام الذى تقدّمه النساء لأزواجهنّ. (نفس المصدر: ٢٤٠-٢٣٤)

### المحرّمات الدينيّة و الفكاهات العقيدية

الملاحظة التالية هى الفكاهات العقيدية. فالمسائل العقيدية والمعتقدات الدينيّة تعدّ من المحرّمات لأنها موضوعات ترتبط بالمقدّسات وفيها خطوط حمراء صارمة والطريق الوحيد للاقتراب من هذه الخطوط الحمراء يمكن أن يكون ردّ الفعل المتمثل فى الضحك من باب الغضب والخوف والتعجب وغير ذلك. وعلى سبيل المثال «ففى أوروبا وفى بعض الكرنفالات نلاحظ قساوسة يتبرّجون بالملابس النسائية وهم يحملون كتاب الإنجيل مقلوباً!» (روح الأمينى، ١٩٩٧م: ١٢)

وينضوى هذا النوع من فكاهات عبيد في المجموعة الأولى من تقسيم فرويد أيضاً. لأن هناك فكاهات على علاقة بالمحرّمات وسبب الضحك هو تفريغ الشعور الناجم عن الرغبة المكبوتة أو الخوف من التقرب من هذه المحرّمات. وتوجد في آثار عبيد فكاهات دينية امتزجت هي أيضاً مع المفاهيم الجنسية حيث نتجنّب ذكرها هنا. ومن الموضوعات العقيدية الصراع بين الغرائز والفرائض حيث يشبع بطل القصة في النهاية كلتا الرغبتين من خلال الحيل الشرعية أو السلوك المتناقض وتكون نتيجة ذلك سلوكاً مثيراً للضحك. وينضوى الضحك على هذه الفكاهات في المجموعة الأولى من تقسيم فرويد و الشعور المتحرّر هو شعور العداة لمثل هذا الشخص والغضب. لأن مثل هذا النوع من السلوكيات يؤدّي إلى خدع عوام الناس و التريخ وهو يستحق النقد. وهذا الضحك هو من باب الغضب ويصدر من الأشخاص الذين يقومون بالعمل الآخر حينما يحتلون إلى أنفسهم.

#### نموذج من عبيد

«كان جحا يسرق أغنام الناس ويتصدّق بلحومها. فسئل: ما معنى هذا؟ فقال: ثواب الصدقة يعادل سرقة الأغنام، و في أثناء ذلك يكون شحمها و إيتها توفيراً.» (عبيد، ١٣٨٣ش: ٦٤)

#### المحظورات القانونية والتهمك السياسي

يمكن اعتبار رد الفعل على المحظورات السياسية نوعاً من ردود الفعل الاحتجاجية. أي الضحك الذي مصدره الغضب. وهو النوع الأول من تقسيم فرويد. أي الضحك على أثر تفريغ الشعور بالعداء والحصام. ومثل رد الفعل هذا شائع كثيراً وخاصة في البلدان المتبلة بالديكتاتورية. ولأن الأشخاص لايمتلكون المجال للاعتراض والنقد، فإنهم يعبرون عن غضبهم عن طريق الضحك أو السخرية من رؤساء الحكومات والاستهزاء من أسلوب إدارة البلد. ويمكن أن تعتبر الفكاهات والنكات السياسية مقياساً جيداً إلى حد كبير لمستوى الاستبداد والإرهاب السياسي السائد في مجتمع ما.

وتتمثّل خصوصيّة الفكاهات السياسيّة في آثار عبّيد في الغالب في نقد انعدام العدالة والظلم والجور والتعرض لأرواح الناس ونواميسهم من قبل الطغاة والجبابرة ولا نلاحظ موضوعاً خاصاً حول تغيير نوع الحكم أو تغيير الأسلوب السياسي والتنفيذى. وتتعلق مقوّمات النقد في الغالب بالسخرية من السلوك الشخصى للحكّام و نسبة بعض الصفات إليهم ممّا يتعلق بالناموس والتعريض بفسادهم الأخلاقى ووضعهم في ظروف ومواقف قصصية مضحكة. وهذا النوع من الفكاهات السياسيّة (السخرية و نسبة الصفات القبيحة) ما هو إلاّ الغضب المكبوت الذى ينضوى في النوع الأول من تقسيم فرويد.

### بعض النماذج:

«ذهب دهقان من أصفهان إلى دار الخواجه بهاء الدين صاحب الديوان (محمّد الجوينى). فقال لسيد القصر أن يقول للخواجه أن الإله جالس فى الخارج وإنه يريدك فى أمر. فقال للخواجه؛ بشر بإحضاره. وعندما دخل، سأل: هل أنت الإله؟ فقال: نعم، قال: وكيف؟ قال: لقد كنت قبل هذا الإله القرية، وإله البستان وإله البيت؛ وقد سلبنى نوابك الدار منى ظلماً، فبقى الإله وحده!» (نفس المصدر: ١٥)

«كان يحكم فى مازندران رجل اسمه العلاء وكان شديد الظلم، فحدث جفاف ومجاعة. فخرج الناس للاستسقاء. وحينما فرغوا من الصلاة، رفع الإمام يده بالدعاء من على المنبر قائلاً: اللهم ادفع عنّا البلاء والوباء والعلاء!» (نفس المصدر: ٩٠)

«سأل شخص مولانا عضد الدين: فى زمان الخلفاء كان الناس يدعون الألوهية والنبوة كثيراً ولكنهم لا يفعلون ذلك اليوم؟ فقال: لقد وقع على أهل هذا الزمان من الظلم والجوع بحيث نسوا كل شىء حتى الإله والنبى!» (نفس المصدر: ٨٠)

فكاهات عبّيد والمجموعة الثانية من نظرية فرويد (إطلاق الفكر وتفريغه) المجموعة الأخرى من فكاهات عبّيد بعد الفكاهات المنوعة، فكاهاتُ النقص. ويمكن أن يكون هذا النقص خارجياً ومادياً، مثل النقص فى الأعضاء، والعجز

الجسمى وما إلى ذلك، وقد يكون أخلاقياً ومتعلقاً بالشخصية. مثل السلوكيات القبيحة والمعائب الأخلاقية. ويمكن أن يكون عقلياً مثل الجنون أو الحمق والسذاجة والجهل وغير ذلك. وتنضوى هذه المجموعة من فكاهات عبيد عادةً فى المجموعة الثانية من تقسيم فرويد. وهى الفكاهات التى هى تقليد ناقص للعقود الطبيعية أو الأخلاقية أو العقلية. والشخص الجاهل، يكون جهله مضحكاً فى مقابل السلوك العاقل فى مستوى حركات المهرج التى هى تقليد معيب وناقص للحركات العادية والطبيعية. أو النقص فى الأعضاء والمعائب الجسمية التى تبدو وكأنها أشكال وسوم هزلية ثابتة فى مقابل الصحة والسلامة حسب القاعدة والطبيعة.

#### نموذج من النقائص والعيوب الظاهرية

«كان ليد قبيح نائب أكثر قبلاً منه. وفى ذات يوم ناول حامل المرأة، المرأة للنائب، فنظر فيها وقال: "سبحان الله! ما أكثر التقصير الذى حدث فى خلقنا!"» (نفس المصدر:

(٨٥)

«جاء رجلٌ أبخرُ الى طبيبٍ يشكو وجعِ ضرسِهِ. ففتحَ الطبيبُ فمه ففاحت رائحةٌ مُنكرةٌ. فقال له: ليسَ هذا منِ عملى اذهب الى الكناسين.» (نفس المصدر: ٤٠)

#### نموذج من النقائص الأخلاقية

«يحكى أن ظريفاً رأى الكثير من الدجاج المشوى على المائدة، ولم يأكل منه لثلاثة أيام متتالية. فقال: إن عمر هذا الدجاج المشوى بعد الموت أكثر من عمره قبل الموت.» (نفس المصدر: ١٣٦)

«حضر الأجل كبيراً من الأكابر كان أوحده زمانه فى الثروة و قارون عصره؛ فقطع الأمل بالحياة، فأحضر فلذات كبده الذين كانوا أطفال أسرة الكرم. فقال: يا أولادى! لقد تحملت عناء السفر والحضر لأزمان طويلة فى كسب المال وعصرتُ حلقي وضغطت عليه بمخالب قبضة الجوع حتى جمعتُ هذه الدنانير القلائل، فالله الله فى المحافظة عليها، لاتغفلوا عنها، وإن قال لكم شخص إنه رأى أباكم فى المنام وهو يطلب الحلوى

فاحذروا من أن تتخدعوا بمكره فأنا لم أقل ذلك فالميت لا يأكل شيئاً؛ وإن طلبتُ أنا نفسى ذلك منكم فى المنام و التمسست منكم هذا الالتماس نفسه، فإن هذا يسمّى أضغاث الأحلام، وهو من عمل الشيطان، فما لم آكله فى حياتى لا أتمناه فى مماتى". قال ذلك ثم أسلم الروح إلى خزانة المالك.» (عبيد، ١٩٩٥م: ١٥٧)

وهذه المجموعة من الحكايات الفكاهية يمكن أن تكون من ضمن المجموعة الأولى شرط أن لا يكون فيها نقد، والضحك فيها من باب تفرّيج وإطلاق الشعور بالغضب.

### نموذج من النقائص العقلية وفكاهات التهكم بالجهل

بطل الجهل فى قصص عبيد هو قزوينى عادةً. ورغم أن عبيداً نفسه كان من أهالى قزوين ولكنه لم يول اهتماماً كبيراً بالقزوينيين فى آثاره.

«يحكى أن قزوينياً كان يعانى من ألم فى ضرسه فذهب إلى الجراح. فقال: أعطنى دينارين من الذهب كى أقلعه. فقال: لا أعطيك سوى دينار. وحينما لم يردّ من الدفع أعطاه دينارين وقدم رأسه للجراح وأظهر له الضرس الذى لم يكن يوجعه. فاقتلعه الجراح. فقال القزوينى: كنت تريد أن تأخذ منى أكثر ممّا تستحق وتأخذ دينارين؟! ولكننى أكثر دهاء وذكاء منك؛ فقد سخرتُ منك فاقتلعتُ سنّاً واحداً من أسناني بدينار واحد.» (عبيد، ١٣٨٣ش: ١٢٢)

«أضاع قزوينى خاتماً فى البيت، فكان يبحث عنه فى الزقاق لأن بيته مظلم.» (نفس المصدر: ١١٨)

«كان قزوينى يحتضر وينازع الموت، فأوصى بأن يطلبوا فى المدينة أقمشة قديمة وبالية ويتخذوها كفنّاً له. فقيل له: وما هو الغرض من ذلك؟ قال: كى يظن منكر ونكير حينما يأتيان أننى رجل قديم فلا يكلفوا أنفسهم فى سؤالى.» (نفس المصدر: ١٥٦)

«يحكى أن قزوينياً أضاع حماراً، فكان يدور حول المدينة ويشكر ربّه. فقيل له: لماذا تقدّم الشكر؟ فقال: لأننى لم أكن قد جلست على الحمار وإلا لكان هذا اليوم اليوم الرابع الذى أضيع فيه.» (نفس المصدر: ٩٧)

### فكاهات عبيد والمجموعة الثالثة من نظرية فرويد

المجموعة الثالثة من أنواع الضحك من وجهة نظر فرويد ترتبط في فكاهات عبيد بتقنيّة المباغته كما ذكرنا، ولا علاقة لها بموضوع الفكاهة. وفكاهات عبيد يمكن أن تنضوي في المجموعة الثالثة، مهما كان موضوعها إن كانت تتمتع بتقنيّة المبالغة. وحينما يجتمع ظرفان أو قضيتان متناقضتان معاً في بعض الأحيان، فإنهما تصبحان مضحكيتين. وإذا ما استدعينا إلى الأذهان رأي فرويد وتقنيّة المباغته، فإن الضحك يحدث مفعلاً لرأيه على أثر التقابل والتناقض بين شعورين، أي إطلاق الشعور الأول وظهور الشعور الثاني، و الضحك في هذه الحالة سببه التعجب في معظم الأوقات.

والأحداث والموضوعات أو الكلام والأحاديث التي تطرح خلافاً للتوقعات، مثيرة للضحك. وما هو يتعارض مع العرف والتقاليد، يمكن أن يكون مضحكاً لأنه يخالف التوقع. وهذه الظواهر المخالفة للتوقعات يمكن أن تكون - وفق رأي فرويد - تقنيّة المباغته ومن النوع الثالث.

### نماذج من تقنيّات المباغته:

«كان شمس الدين مظفر يقول لتلامذته ذات يوم إن الدراسة يجب أن تكون في الطفولة؛ فكلّ ما يتعلّمه الطفل لا يمكن أن ينسى أبداً. وأنا الآن أبلغ الخمسين وقد تعلّمت سورة الفاتحة و ما زال أتذكّرها رغم أنني لم أقرأها أبداً.» (نفس المصدر: ١٥٠) فالذهن هنا ينتظر سماع الدراسة والقراءة الكثيرة، وهو يتفاجأ بعبارة "لم أقرأ أبداً".

«كان هناك شخص يدعى الألوهيّة. فاقتادوه إلى الخليفة. فقال له: كان هنا السنة الماضية رجل يدعى النبوة، قتلوه. قال: لقد فعلوا حسناً فأنا لم أكن قد بعثته.» (نفس المصدر: ٦٣)

فالذهن يتوقّع هنا العقوبة وتهديد المدعى ولكن جوابه غافله. «ادّعى شخص النبوة. فأخذوه إلى الخليفة. فسألوه: ما هي معجزتك؟ فقال:

معجزتى أنى أعلم بكلّ ما يجرى فى قلبك؛ والآن يدور فى قلوب الجميع أننى أكذب.»  
(نفس المصدر: ١٢٥)

### النتيجة

نقول فى الإجابة على السؤال الأول الذى طرح فى هذه المقالة إن موضوع فكاهات عبيد يقسّم فى مجموعتين هما الفكاهات المحظورة وفكاهات النقائص. والفكاهات المحظورة تتعلّق عادة بالمحرّمات الجنسية، المحرّمات الدينية والمحظورات السياسية. ويمكن أن تدور فكاهات النقائص حول النقص المادى والظاهرى، أو النقص فى الشخصية والأخلاق والسلوك (وهى تشمل أيضاً الفكاهات الثقافية والاجتماعية) أو النقص العقلى. وكلّ من هذه الفكاهات يمكن أن يطرح بهدف النقد أو لمجرّد الملاطفة والمزاح. ونقول فى الإجابة على السؤال الثانى إن الفكاهات الممنوعة تتعلّق بالمجموعة الأولى من تقسيم فرويد بسبب إطلاق الشعور والإحساس المكبوت سواء كان مصدره الرغبة الجنسية أم الخوف (الفكاهات الدينيّة) أو الغضب (الفكاهات السياسية).

وأما فكاهات النقائص فتتنمى إلى المجموعة الثانية وهى فى الحقيقة تقليد ناقص للعقود الطبيعية أو الأخلاقية أو العقلانيّة. وكلّ من فكاهات المجموعة الثانية إن طرح بهدف النقد فإنه ينضوى فى المجموعة الأولى من تصنيف فرويد.

والمجموعة الثالثة من تصنيف فرويد لاعلاقة له بموضوع فكاهات عبيد بل تتعلّق بإحدى تقنياته الفكاهيّة الساخرة. تقنية المباغته. وكلّ فكاهة فى أى موضوع إن كانت تتمتع بتقنية المباغته، فإنها يمكن أن تكون منتمية إلى المجموعة الثالثة من تصنيف فرويد.

والملاحظة الأخيرة أن هذه الفكاهات لاتنضوى بالضرورة فى طبقة واحدة من تقسيم فرويد فقط. فقد تكون هناك فكاهة تنتمى إلى المجموعات الثلاث كلّها. أى إنها تجمع بين كونها تبيّن تقدماً ما؛ أو مقيصة أو توظّف تقنية المبالغة فى نفس الوقت. وبذلك فإنها تعتمد على نوع الموضوع والهدف من تقديمه وتقنيته التطبيقية.

## المصادر والمراجع

- ابن منظور، ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (٢٠٠٤). لسان العرب. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- برجسون، هنرى لويس. (٢٠٠٠م). الضحك. ترجمة عباس باقرى. طهران: شباويز.
- حلبى، على أصغر. (١٩٩٨م). تاريخ طنز وشوخ طبعى در ايران وجهان اسلامى (تاريخ الفكاهة والمزاح فى إيران والعالم الإسلامى). طهران: انتشارات بهبهانى.
- دهخدا، على اكبر. (١٩٦٥م). لغت نامه. طهران: انتشارات جامعة طهران.
- روح الأمينى، محمود. (١٩٩٧م). آيينها وجشن هاى كهن در ايران امروز (الشعائر والاحتفالات القديمة فى إيران اليوم). طهران: دار نشر آگه.
- شاه حسيني، رودابه. (٢٠٠٩م). سنجش طنز عبيد زاكاني با راغب اصفهاني ويافتن آبشخورهاي طنز عبيد وتحليل تطبيقي آنها (مقارنة فكاهة عبيد الزاكاني مع الراغب الأصفهاني والعتور على مناهل فكاهة عبيد والتحليل المقارن لها). الأستاذ المشرف: احمد تميم داري، الأساتذة المساعدون: سعيد واعظ وعلى گنجيان خنارى. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، طهران: جامعة العلامة الطباطبائي.
- عبيد الزاكاني. (١٩٩٥م). أخلاق الأشراف. تحقيق وتوضيح على اصغر حلبى. طهران: أساطير.
- عبيد الزاكاني. (١٣٨٣ش). رساله دلگشا، مع رسالات التعريفات، صد پند ونوادر الأمثال. تحقيق، ترجمة وتوضيح على اصغر حلبى. طهران: انتشارات اساطير.
- كوييلو، بايولو. (٢٠٠٦م). إحدى عشرة دقيقة. ترجمة كيومرث بارساى. طهران: انتشارات نى نگار.
- ماريال، جان. (١٣٩٣ش). فلسفة المزاح. ترجمة غلامرضا أصفهاني. طهران: ققنوس.
- H. J. Eysenick, W. J. Arnold, R. Meili, (1972) Encyclopaedia of Psychology, Fontana/Collins, London.